جامعة القدّيس يوسف وطلاّبها

كلمة رئيس الجامعة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ

يوم الأربعاء الواقع فيه ١٩ آذار (مارس) ٢٠١٤ بمناسبة عيد جامعة القدّيس يوسف

في مُدرّج جان دوكروييه اليسوعيّ

حَرَم العلوم والتكنولوجيا – مار روكز

أصحاب السعادة،

حضرات معالي الوزراء والسادة النوّاب،

حضرات السادة رؤساء الجامعات في لبنان وممثّليهم،

حضرات السادة الرؤساء الفخريّين في جامعة القدّيس يوسف،

حضرة الأب، المدبّر للرئيس العام للرهبنة اليسوعيّة أو "جمعيّة رفاق يسوع" وحضرة الأب رئيس مؤتمر الرؤساء الإقليميّين ل"جمعيّة رفاق يسوع" في أوروبا،

حضرة الأب، الرئيس الإقليمي للرهبنة اليسوعيّة أو "جمعيّة رفاق يسوع" في الشرق الأوسط وفي المغرب،

حضرات السيّدات والسادة، رؤساء الجمعيّات والمنظّمات المهنيّة وممثّليهم،

حضرات السيّدات والسادة، أعضاء المجلس الاستراتيجي للجامعة،

حضرات السيّدات والسادة، نوّاب الرئيس والأمين العام والعمداء والمدراء والمديرات،

حضرة رئيس مستشفى اوتيل ديو دو فرانس،

حضرات السيّدات والسادة المعلّمين،

حضرات السيّدات والسادة، ممثّلي هيئة الخدمات العامّة،

حضرات السيّدات والسادة، الطالبات والطلاّب،

حضرات السيّدات والسادة، رؤساء اتّحاد وجمعيّات الطلاّب الخرّيجين،

أيّها الأصدقاء،

(مقدّمة)

١. إنّه لمن الواجب النابع من أعماق القلب أن أرحّب بكم جميعًا بمناسبة مرور ١٣٩ عامًا على تأسيس جامعة القدّيس يوسف ولمناسبة الاحتفال بعيد شفيعها الدائم، القدّيس يوسف. قبل الدخول إلى صلب الموضوع الذي سأتطرّق إليه هذا العام وهو تحت عنوان : **"جامعة القدّيس يوسف وطلاّبها"**، سيكون من البديهيّ أن أجمع بين كلمات الترحيب والأمنيات بعيد ميلاد سعيد للجامعة، أمّنا المربّية، متوجّهًا إلى كلّ واحدٍ وواحدةٍ منكم، فألتمس من شفيعنا القدّيس يوسف أن يستمرّ في السهر علينا بتواضعه الفائق الذي نتلمّس مدى فعاليّته. كما نلتمس منه أن يهب كلّ فرد من أفراد مجتمعنا الأكاديمي الواسع فضيلتين عاشهما هو نفسه ونحن بأمسّ الحاجة إليهما وهما الحكمة والشجاعة، وخاصّةً في هذه الأوقات الصعبة التي يرزح تحت وطأتها لبنان والشرق الأوسط. هذا الوجود الفاعل للقدّيس يوسف الحارس، رافق مشروع الجامعة منذ إنشائها. ونذكر هنا حكاية ظريفة : عندما طلب الأب مونو، وهو أحد مؤسّسَي جامعة القدّيس يوسف، إلى السلطات العثمانيّة في العام ١٨٧٣ تشييد مبنى الجامعة، طالبت هذه السلطات بعرض تصميم البناء وإلاّ امتنعت عن تنفيذ المشروع. عندئذٍ، اقترح السيّد بشارة، وهو والد إدمون بشارة الذي سيصبح لاحقًا أستاذًا جامعيًّا في كليّة الهندسة في بيروت ESIB، أن يتقلّص التصميم الهندسي ليصبح بحجم كفّ اليد كي لا يلاحظها أحد ؛ وافق الأب مونو لكنّه قال للسيّد بشارة إنّه سيتوجّب الاعتماد أيضًا على تدخّل خاصّ من القدّيس يوسف لإقناع السلطات العثمانيّة في بيروت. وعندما رأى الموظّفون العثمانيّون أنّ حجم التصميم كان بسيطًا، ارتأوا أنّ المبنى لا يستحقّ أن يُدرَس عن كثب ووقّعوا على الفور على أمر الشروع في العمل (لوحة رقم ٥، اليسوعيّون في سوريا ١٨٣١-١٩٣١، ص ٨). وبالتالي تحقّقت فكرة تأسيس الجامعة وأصبحت تدريجيًّا ترجمة إجتماعيّة وتعليميّة تستمدّ قوّتها اليوم من سنوات طويلة قضتها الجامعة في الخدمة وعطاء الذات، بالاعتماد على سخاء مئات إن لم يكن الآلاف من اليسوعيّين والعلمانيّين الذين وهبوا أحيانًا ذواتهم حتى تسنّى لهذا

العمل أن يستمرّ في رسالته. لا ننسى اليوم أن نخصّهم بالذكر الخاصّ العميق عشيّة مرور ١٤٠ عامًا على تأسيس الجامعة و أن نحيّي ذكراهم وعملهم النبويّ.

I. (الطلاّب سبب وجودنا : لماذا نتطرّق إلى هذا الموضوع ؟)

٢. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، في أوّل مداخلة لي كرئيس جامعة أمام مجلس جامعتنا، كنتُ قد قلتُ إنّ الطالب، هذا الشاب أو هذه الشابة، الذي وضع ثقته في الجامعة، هو "علّة وجودنا" (راجع محضر مجلس جامعة القدّيس يوسف، في ٦ حزيران (يونيو) ٢٠١٢). قد يطرح البعض السؤال التالي : لماذا نتحدّث عن هذا الأمر اليوم ؟ أيمكن أن يكون الحادث الإشكاليّ الذي وقع بين طلاّب من مختلف الانتماءات السياسيّة في حرم جامعي معيّن من الجامعة هو الذي يبرّر اختيار موضوع هذا الخطاب ؟ هل يمكن أن تكون إعادة كتابة برامج الموادّ الأكاديميّة على أساس مخرجات التعلّم أو ملامح هذه المخرجات هي التي تستدعي النظر في نتائج مثل هذه المبادرة على حياة طلاّبنا ؟ هل يمكن أن يكون الاختيار نابعًا من القرار المستجدّ لتطوير موادّ إختياريّة في مسار الإجازة وهي التي يُطلَق عليها اسم "موادّ أو مقرّرات إختياريّة لجامعة القدّيس يوسف" وهي عبارة عن دروسٍ في الأخلاقيّات والمواطنة والحياة السياسيّة كما في التعدديّة الدينيّة التي قد تتطلّب تأمّلاً في هويّة طالب جامعة القدّيس يوسف ؟ وهل يكون في النهاية تنظيم إنتخابات هيئة الطلاّب، وهي انتخابات تؤدي عادةً إلى إقامة علاقات غير وديّة بين الجماعات المختلفة، هو ما يستحقّ بعض الاهتمام ؟ صحيح أنّ كلّ هذا ذات صلة وثيقة بالموضوع وينبغي النظر فيه في حديثنا عن مكانة الطالب ودوره في جامعتنا، غير أنّ دافعًا واحدًا محدّدًا يحثّني على الحديث اليوم عن الطلبة وظروف حياتهم ودراستهم في الجامعة. نحن كجامعة وكرسالة في هذه الجامعة وكأعضاء هيئة تدريس وموظّفين إداريّين، نؤكّد ببساطة أنّ الطالب هو "علّة وجودنا" وهو يشكّل بنظري سببًا كافيًا للتفكير معًا في هذا الموضوع. علاوة على ذلك، أوَ ليس المصطلحان الفرنسيّان

"raison" et "être" كلمتين نبيلتين وعميقتين في المفردات الفلسفيّة الفرنسيّة ونترجمهما في العربيّة بكلمتَين لا تقلاّن أهميّة عن الفرنسيّة وهما "علّة" و"ووجود" ؟ بعبارة أخرى، نحن نبرّر وجودنا كجامعة على اسم القدّيس يوسف برسالتنا التي توجّهنا أوّلاً نحو الطالب، نحو تنشئته المهنيّة وتدريبه على التفكير النقدي واحترام الآخر والحريّة واكتساب المهارات والكفايات. فإذا نجح، نجحنا وإذا رسب، نفقد معه علّة وجودنا. ماذا كان بالإمكان أن نكون لولا وجود الطالب الذي يأتي من لبنان أو من أي مكان آخر، بخصوصيّته، وهو يرغب في أن يصبح رجلاً أو امرأة يحقّق ذاته أو تحقّق ذاتها، ومهنيًّا ممتازًا في حقل تخصّصه ؟ ما هي قيمة الأحرام الجامعيّة الراقية وبرامج التدريس والبحث القائمة على أسس متينة لولا وجود هذا الشاب الذي يسعى أن يتزوّد بجودة جامعة القدّيس يوسف والذي نعمل معه كلّ يوم من أجل نجاحه ونموّه الشخصيّ ؟ تعبير "علّة وجود" يعني تنشئة الطالب على اكتساب مهنة وتطوير إمكانيّاته الإنسانيّة، الأمر الذي يُلقي على عاتقنا مسؤوليّة كبيرة تجاه حلم الطالب وتوقّعات أسرته. "فماذا عسانا نقول عن درجة مسؤوليّتنا، أيّها الموجّهون والمعلّمون الكبار من جامعتنا، إذا كنّا واثقين أنّ تنشئتنا لا تقتصر على رسم ملامح ذات طابع شخصي وتقني بحت ولكنّ رسالتنا تتخطّى هذا الأمر فتقوم بتقديم تنشئة جامعيّة متكاملة للإنسان من جميع جوانبها الفكريّة والاجتماعيّة والنفسيّة والروحيّة والمواطنيّة ؟

أوَ لسنا جامعة يسوعيّة تنهل من مصدر التقليد اليسوعيّ المشترك القائم على الرغبة في اكتساب قِيَم التميّز الأكاديمي والأخلاقي بمعنى إحراز التقدّم المستمرّ من أفضل إلى أفضل و"الترقّي" القائم أيضًا على الرغبة في القيام بالأبحاث من أجل تحسين نوعيّة الحياة فضلاً عن الحرص على الحوار المستمرّ بين الثقافات والإيمان بالله، والحرص على الاحترام العميق للإبداع والانفتاح على الآخرين ومقاسمة ما أُعطينا من مواهب ؟ ثمّ ما هو موقف الطالب نفسه فيما يتعلّق بالتنشئة هذه المقترحة والتي تتطلّب منه إلتزامًا طوعيًّا ووجودًا ذهنيًّا كبيرًا في جامعة القدّيس يوسف ؟ معًا سنستعرض أفكار الجامعة ومقترحاتها

بخطوطها العريضة في إطار تبادل صادق وعميق، حول واقع الطلاّب، ونتصوّر كيفيّة مساندة هذا الواقع من أجل أن يكون له الهيكليّة الملائمة ويصبح أكثر فعاليّة ووجودًا ونشاطًا، سواء من حيث التنشئة الفرديّة أو من حيث الالتزام الجماعي. سيتمحور تفكيرنا حول ثلاث مراحل : **أوّلاً** العودة إلى بعض صفحات تاريخ الجامعة، **وثانيًا** تفسير تصوّر جامعة القدّيس يوسف لوضع الطالب فيها، و**ثالثًا** عرض بعض المبادرات التي تلتزم بها جامعة القدّيس يوسف اليوم للمستقبل من أجل إعطاء الطالب المكان الذي يستحقّه ليصبح رائدًا في مهنته وفي خدمة الآخر. في هذا الخصوص، سأختتم بوجهة نظر حول الوضع الوطني الذي نعيشه اليوم.

II. (**بعض ملامح تاريخنا**)

٣. بالاستعانة إلى بتاريخ الجامعة الطويل، أودّ أن أسلّط الضوء على أربع نقاط قد تثير موضوعنا اليوم. **فلنبدأ بالجزء الأوّل من العرض** بإلقاء نظرة على نوعيّة عمل الطلاّب والعلاقات بين المعلّمين والطلاّب، بالإحالة إلى شهادة تعود إلى العام ١٨٨٦، وهو نصّ كتبه الرئيس الثالث للجامعة، الأب لوفيفر Lefèbvre الذي قال عن طلاّب الطبّ خلال حفل التخرّج في اللاهوت والطبّ وبعد رمي البروتستانت الأمريكيين في بيروت ببعض قوارص الكلام ما يلي : إنّ ("طلاّبنا") الذين تتوقّد فيهم مشاعر المودّة والرعاية من معلّميهم، وأينما كانوا، في الدروس النظريّة كما في الدروس العمليّة المطبّقة في المستشفى والمستوصفات، يظهرون حماسًا وحميّة للعمل الذي يتكلّل بالنجاح التام، كما نتوقّع منهم". (أرشيف جامعة القدّيس يوسف، السنوات الإحدى عشرة الأولى من جامعة القدّيس يوسف، كلمة حضرة الأب الرئيس لوفيفر *Lefèbvre*، ١٩ تمّوز (يوليو) ١٨٨٦)[1]. عدّة نصوص تعود إلى تلك الفترة وتشهد على هذه الذهنيّة لدى الطلاّب الذين يتمتّعون بالحماس والالتزام في دراستهم في جوّ من

(1) *Archives de l'Université Saint-Joseph, Les onze premières années de l'USJ, discours du R. P. Lefèbvre, 19 juillet 1886.*

العلاقات الحسنة مع معلّميهم يكاد يكون رومانسيًّا، الأمر الذي يدفعني إلى استطراد لتشجيع أطبّائنا في كليّة الطبّ ومستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" لبثّ الطمأنينة في النفوس وذلك الحماس الموروث من الأيّام الماضية، فهما الطريق الوحيدة التي يجب اتّباعها من أجل النموّ والنجاح. وكذلك الأمر، بالنسبة إلى الأب اليسوعيّ المشهور لويس شيخو، وهو يحتلّ مكانة مرموقة في الآداب العربيّة والدراسات الإسلاميّة، ومؤسّس مجلّة "المشرق"، فهو ينقل لنا معلومات مثيرة للاهتمام عن حالة الجامعة في العام ١٩٠١ بمناسبة الاحتفال بالذكرى ٢٥ لتأسيسها". وهو يتكلّم عن "هذا السراج الذي بدأ يبعث ضوءًا منخفضًا وشحيحًا ليصبح مشعًّا مثل نيزك يعبر السماوات" (لويس شيخو، اليوبيل الفضّي لجامعتنا، "المشرق"، السنة ٤، العدد ١، ١٩٠١)[٢]. وإذا تحدّث شيخو عن مؤازرة اليسوعيّين والفرنسيّين وكذلك السلطات البابويّة في روما لجعل هذا المشروع الجامعي يحقّق النجاح، فهو لا يتوانى في أن يعزو أيضًا هذا النجاح وهذا الإشعاع إلى الطلاّب والخرّيجين القدامى المتعدّدين الذين تلقّوا تنشئتهم على حدّ سواء في المدرسة كما في كليّات اللاّهوت والفلسفة والآداب الشرقيّة والطبّ، مكرّسًا عدّة صفحات للثناء على الأشخاص الذين تخرّجوا من الجامعة، وقد استفادوا تمامًا من العلم الذي تمّ نقله إليهم وأصبحوا قادة سياسيّين في بلدهم وأصحاب مقامات دينيّة في كنائسهم. بالنسبة إلى شيخو، هؤلاء الطلاّب القدامى تميّزوا بفضيلتين : تعلّموا في الجامعة كيفيّة العمل للنمّو الروحيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ لمجتمعاتهم والكثير منهم تميّزوا بشغفهم لتأسيس الأعمال الصالحة وإدارتها كجمعيّات القدّيس منصور دي بول والجمعيّات الخيريّة في بيروت ودمشق.

٤. أتطرّق إلى نقطة أخرى سبّبت بعض المتاعب لليسوعيّين في الماضي، وهي إدارة التعدديّة الدينيّة للطلاّب الموجودين في حرم الجامعة، وذلك منذ تأسيسها في العام ١٨٧٥، على الرغم من العدد القليل

(2) *Louis Cheikho, le jubilé d'argent de notre Université, al-Machriq, 4ème année, no 1, 1901.*

نسبيًّا من الطلاّب المسلمين واليهود، والذين يجب أن نضيف إليهم الأرثوذكس، نظرًا إلى الأغلبيّة الكاثوليكيّة، المارونيّة واللاتينيّة والروم الكاثوليكية بين طلاّبها. فعلى ضوء الهويّة لا المسيحيّة فحسب، بل الكاثوليكيّة في جامعة القدّيس يوسف، وهي ظاهرة للعيان ومعروفة، ما كانت سياستها في هذا المجال ؟ هل كان الأمر يتعلّق بسياسة إحتوائيّة وتبشيريّة أو سياسة إختلافيّة وليبراليّة ؟ المؤرّخة شانتال فرداي Verdeil التي درست هذه المسألة بعمق، تشدّد على أنّ "المزيج الجديد يتطلّب من اليسوعيّين اتّخاذ تدابير جديدة تشهد على تبصّرهم وإقلاعهم عن هداية غير المسيحيين". (شانتال فرداي Verdeil، مؤسّسة كاثوليكيّة في مجتمع متعدّد الطوائف في نهاية الإمبراطوريّة العثمانيّة، جامعة القدّيس يوسف في بيروت، مجلّة كرّاسات البحر الأبيض المتوسط ، ٧٥ ، ٢٠٠٧)[٣]. وتؤكّد فرداي Verdeil على أهميّة المسألة بالنسبة إلى اليسوعيّين : فحين قدموا في العام ١٨٧٥ إلى غزير، المدينة المسيحيّة الشهيرة في فتوح كسروان، وإلى بيروت، المدينة المتأثّرة بالحضارات الأجنبيّة المختلفة، كان التغيير جذريًّا بما فيه الكفاية لكي يدعو الآباء إلى اجتماع مشورتهم الرهبانيّة حول هذا الموضوع، بعد بضعة أشهر من إقامتهم في بيروت. وللدلالة على أهميّة هذه المسألة، لم يجمع هذا المجلس المستشارين اليسوعيّين الإعتياديّين الثلاثة أو الأربعة فقط ولكنّه أشرك أيضًا جزءًا من هيئة التدريس للتفكير. ثمّ قام اليسوعيّون بتحديد متطلّباتهم تجاه الطلاّب، الروم الأرثوذكس والمسلمين واليهود. فعلى الورق، يطُلَب من الجميع المشاركة في جميع الممارسات الدينيّة، ولكن، بعيدًا عن النظام وتطبيقه على أرض الواقع، خفّضت مرونة اليسوعيّين من صرامة النظام". في نقطة الانطلاق، إذا كانت نسبة اليهود والمسلمين قليلة الأهميّة، فقد كانت ذات معنى بما فيه الكفاية "لتبلغ ١٨ ٪ من الطلاّب عشيّة الحرب العالميّة الأولى. على سبيل المقارنة، في مدرسة العائلة المقدّسة التي كان اليسوعيون يديرونها في القاهرة كان اليهود والمسلمون يمثّلون بين ٢٠ و٢٥ ٪ من العدد الفعليّ ؛ وفي الكليّة البروتستانتية السوريّة، حوالي ٢٨ ٪ من الطلاّب كانوا من الدروز

(3) Chantal Verdeil, Un établissement catholique dans la société pluriconfessionnelle de la fin de l'Empire ottoman, L'Université Saint-Joseph de Beyrouth, revue Cahiers de la Méditerranée, 75, 2007.

والمسلمين واليهود في العام ١٩٠٨ – ١٩٠٩ وربّما ٣٥ ٪ في العام ١٩١٣". ما يمكنه أن يسترعي انتباهنا من وثائق تلك الفترة، وبالإحالة إلى السيّدة Verdeil، فمن الواضح أنّ اليسوعيّين، ولأسباب براغماتيّة، كانوا يجبرون الطلاّب الكاثوليك على ممارسة شعائرهم الدينيّة، في حين كان يُتَّخَذ موقف أكثر ليبراليّة حيال الأرثوذكسيّين الذين لم يكونوا مرغمين أن يأتوا في وقت مبكر لحضور القدّاس أو التبرّك بالرماد في بداية الصوم الكبير، أو تقبيل الصليب كما يُطلَب في التقليد الكاثوليكي واللاتيني. وبالنسبة إلى المسلمين واليهود، يستوقفنا تاريخان مثبتان : في العام ١٨٧٥، يلتمس النظام من الطلاّب الداخليّين فقط حضور القدّاس، ويُعفى الطلاّب الخارجيّون منه ؛ ومن ثمّ تمّ تعديل النظام في العام ١٩٠٤، فتعيّن على المسلمين التوجّه إلى المساجد للصلاة واليهود إلى الكنيس اليهودي، بسبب توافد طلاّب إيرانيّين مسلمين فرانكوفينيّين بعدد كبير إلى الجامعة في هذه الأثناء فتمّ إعفاؤهم من الشعائر المسيحيّة ؛ قال أحد الآباء : "إن لم نسهّل عليهم الذهاب إلى أماكن عبادتهم، فنتركهم بلا دين"، وهذا ليس أفضل بحسب وجهة نظرهم. فتمّ العثور على حلّ وسط : عُيّن رجل ثقة مسؤولاً عن أخذ من يرغب إلى المسجد. بحسب فرداي Verdeil، "في بداية القرن، النظام المختصّ بالطلاّب اليهود والمسلمين والمأخوذ به في الكليّة ينضمّ إلى النظام المُعتمَد في كليّة الطبّ. هنا، ليس مطلوبًا من الطلاّب غير المسيحيّين ممارسة الشعائر الدينيّة، ما عدا يوم القدّاس الرسمي الذي يتكرّم القنصل بوجوده فيه "بلباسه الرسميّ". اليسوعيّون يتباهون بالحريّة التي تسود في الكليّة : في الجامعة الأميركيّة حيث يُطلَب من الطلاّب حضور الخدمة الدينيّة في المساء، "هناك تبشير ديني" ؛ في الكليّة الفرنسيّة، يكتفون ببساطة بدراسة الطبّ" (شانتال فرداي Verdeil، مؤسّسة كاثوليكيّة في مجتمع متعدّد الطوائف في نهاية الإمبراطوريّة العثمانيّة، جامعة القدّيس يوسف في بيروت، مجلّة كرّاسات البحر الأبيض المتوسّط ، ٧٥ ، ٢٠٠٧)[٤]. نلاحظ مع ذلك، وأمانةً للتاريخ، أنّ بعض الآباء اليسوعيّين في القاهرة وبيروت كانوا أكثر

(4) Chantal Verdeil, Un établissement catholique dans la société pluriconfessionnelle de la fin de l'Empire ottoman, L'Université Saint-Joseph de Beyrouth, revue Cahiers de la Méditerranée, 75, 2007.

حساسيّة للهموم الناتجة عن وجود غير المسيحيّين، وكانوا يودّون الحدّ من عددهم ؛ والتاريخ يعيد نفسه، لأنّ المشاكل نفسها تُطرَح اليوم، ولكن على الإنسان توجيه مسار التاريخ نحو غايته وهو تلاقي أبناء الجنس البشريّ في بوتقة واحدة لأنّ "الجنس البشري قد تاق دائمًا إلى الانسجام" ومن الصعب جدًّا أن نعود إلى الوراء. (إدغار موران : "الأزمات تولّد القوى الخلاّقة"، الخميس ٧ تشرين الأوّل (أكتوبر)، ٢٠١٠ ، بقلم لورانس لوموان، على شبكة الإنترنت : شعوب العالم)[٥]. من صفحات التاريخ هذه، نستطيع أن نؤكّد أنّ المواقف الثلاثة وهي التبصّر والتسامح والاحترام، كما اتّبعها اليسوعيّون ومعاونوهم فيما مضى، كانت تبيّن الطريق لخلفائهم ولمؤسّستهم الأكاديميّة، بدعوتهم لعدم الاكتفاء بمجرّد أن يكونوا مدرسة تنقل المعرفة وتُنشئ الطلاّب على التفوّق الأكاديمي ولكن أن يكونوا أيضًا مدرسة للحياة والتفكير الصائب في العلاقة مع الآخر المختلف.

٥. بعد نوعيّة العمل والتعليم وإدارة التعدديّة الدينيّة، دعونا نصل إلى نقطة قد تثير أيضًا اهتمامنا وتعنينا بشكل وثيق. كيف كانت الجامعة تنظر إلى النشاط السياسي الذي يقوم به الطالب ؟ لدينا في هذا السجّل أكثر من مثال وسأكتفي بحادثة وقعت في العام ١٩٢٠، مباشرةً بعد انتهاء الأعمال العدائية في الحرب العالميّة الأولى وفي أثناء إنشاء لبنان الكبير. المشهد يحدث في إحدى الكليّات وفي حرم جامعي نعرفه جيّدًا ولم يخسرا رمزيّتهما، وهما كليّة الحقوق وحرم شارع هوفلين Huvelin. في المذكّرات اليوميّة لمدرسة الحقوق، يُروى الحادث على النحو التالي : خلال صيف عام ١٩٢٠، وأثناء زيارة لجنة King–Crane، دار نقاش كبير حول الوضع السياسي في لبنان الذي كان يتجاذبه قراران : بين أن يصبح لبنان ولاية للمملكة الهاشميّة الكبيرة التي تمتدّ من الحجاز حتّى بيروت مرورًا بدمشق، ويُعلَن عنه خلال شهر آذار (مارس) عام ١٩٢٠، أو يحصل لبنان على الحكم الذاتي الذي يعدّه للاستقلال، حصل جدلٌ عنيف بين رشيد طبّارة وسليم تقلا، وكانا من طلاّب كليّة الحقوق. الأوّل انتقد في جريدة

(5) Edgar Morin : "Les crises génèrent des forces créatrices", jeudi 7 octobre 2010, par Laurence Lemoine, site internet : peuples du monde.

"الحقيقة" النظام السياسي الفيدرالي والانفصالي الذي يكمن في إبعاد بيروت عن امتدادها التاريخي والاجتماعي الطبيعي وطالب بدعم اتّحاد سوريا الكبرى مع فلسطين، في حين ردّ تقلا في صحيفة "الحريّة" مناديًا باستقلال لبنان الكبير والتعاون مع فرنسا والائتلاف الإقتصاديّ مع البلدان السوريّة، الأمر الذي وضعته الغالبيّة العظمى من الطلاّب أمام لجنة King-Crane. أثار الجدل إضطرابات على مجموع الطلاّب وتأثيرات على الساحة السياسيّة اللبنانيّة (AUSJ (رئاسة الجامعة) يوميّات المدرسة، ٥، ٨ ، ١٩٢٠ ، ص ١٧). هذه الحادثة التي أعقبها خطاب من الطالب جان جلخ لمجد فرنسا واليسوعيّين تحت عنوان "رسل مبشّرون لله" أمام الجنرال غورو قامت بتضخيم القلق. في مواجهة هذا الوضع، أوصى الأب رينيه موتارد René Mouterde، وهو مستشار كليّة الحقوق لكلا الجانبين، "إلتزام الصمت" وهكذا توقّف الجدل بشكلٍ جليّ. على الرغم من أنّ اليسوعيّين كانوا مؤيّدين لموقف غبطة البطريرك الحويّك، وسلطات الجامعة كانت موجودة رسميًّا خلال مغادرتها إلى باريس في العام ١٩١٩، كانت التوصية الموجّهة إلى الطلاّب التبصّر واتّخاذ التدبير الإحتياطيّ، لأنّ علّة وجود الطلاّب في الجامعة كانت، أوّلاً، أن يمتهنوا الحقوق وأن يحافظ الجميع على سلام الحَرَم الجامعي لضمان الهدوء المؤاتي للدراسة. ومنذ ذلك الحين، أصبحت كليّة الحقوق محورًا للروح اللبنانيّة، تعرف النقاش السياسي المكثّف الذي لا يضعف، وتبقى على مدى السنوات دعمًا قويًّا للبنان الحرّ والمستقلّ، المؤمن بقيم التعايش والديمقراطيّة.

III. (تصوّرنا لطالب اليوم)

٦. تُبيّن هذه الصفحات من تاريخ جامعتنا ثلاثة أو أربعة أسس صمدت أمام اختبار الزمن : المكانة الرئيسيّة التي يحتلّها الطالب في الجامعة في علاقة بين المعلّم والطالب قائمة على نوعيّة تعزّز النجاح

واحترام التعدديّة الدينيّة، إلى درجة كان اليسوعيّون في بيروت يناقضون توجيهات روما في هذه المسألة، وكذلك التبصّر والحكمة لعدم جعل الحرم الجامعي ساحة من الجدل والعنف.

هذه الأسس تفتح المجال واسعًا للجزء الثاني من عرضي حيث سأتطرّق إلى ثلاثة مواضيع هي التالية : "دراسة" الطالب في جامعة القدّيس يوسف، وتوجّهات الشرعة ونصوص أخرى مطابقة للنظام بخصوص الطالب و"الرسالة السياسيّة" للجامعة. من الواضح أنّ العمل بالأساسيّات التي ذكرتها قبل لحظة، كان قد سُهّل بشكل طبيعي مع مرور الزمن لأنّ العديد من تلامذة المدرسة الثانويّة التي كانت تشكّل جزءًا من جامعة القدّيس يوسف كانوا يعبرون من مكان إلى آخر بطريقة طبيعيّة بعددٍ كبير ولم يكونوا في الواقع يتركون مسكنهم. كما نعلم، إنّ مصطلح "جامعة" لم يعد يشير منذ ١٩٥٢-١٩٥٣ إلاّ إلى التعليم العالي، والمدرسة الثانويّة في جامعة القدّيس يوسف كانت قد انفصلت لتستقرّ على تلّة الجمهور. وبالتالي، فإنّ العديد من الفوج السنوي للطلاب الذين دخلوا في العام ١٩٥٣ إلى جامعة القدّيس أخذوا يطئون أرضًا تكاد تكون غريبة، منقادين إلى منطق الانتقال بين التعليم الثانوي والتعليم العالي. ووفقًا للبروفسور آلان كولون Alain Coulon، مؤلّف الكتاب الضخم حول مهنة الطالب أسوةً بمهنة السبّاك أو الكاتب، كما يصفها، يؤدّي هذا الانتقال بالطالب للتغلّب على التحدّي في اجتياز المرحلة الأولى من انخراطه في الجامعة، ويُطلَق عليها مرحلة الغرابة، ويحثّه على دمج المرحلة الثانية وهي مرحلة التعلّم وأخيرًا، يجعله يعيش بشكل كامل المرحلة الثالثة ألا وهي الانتساب. ممارسة مهنة الطالب تكمن في أن يتعلّم القواعد ويكتسب المهارات والكفايات التي تسمح له بالتعلّم. وتتميّز المرحلة الأولى بأنّه يشعر بالغربة ويتوجّب عليه إحداث قطيعة مع ماضيه القريب. القواعد تتغيّر. شرنقة المدرسة تنهار. الاتّصالات مع الجامعة، أثناء التسجيل أو في بداية المحاضرات، تمثّل بالنسبة إليه "مسارًا حقيقيًّا للمناضل" : هذه المرحلة هي مرحلة عدم اليقين وهي القاعدة : حول البرامج والمنهاج والتنشئة المختارة.

فمن خلال هذه الخبرات المتعاقبة المختلفة يستطيع الطالب أن يشعر بأنّه "منتسب " إلى بيئته الجديدة وأنّه ينتقل من مرحلة الغرابة إلى مرحلة التعلّم.

في المرحلة الثانية، مرحلة التعلّم، يصبح المبتدئ متدرّبًا ويضع خطّته قيد التنفيذ تدريجيًّا. في هذه اللحظة يجب أن تكون المؤسّسة متيّقظة لمساعدته. يجب عليه أن يبني استراتيجيّات مختلفة، تختصّ مثلاً بجدول أعماله وكيفيّة بنائه لمنهاجه. ليس من السهل دائمًا تحديد أو تنظيم العمل الفكري المطلوب : "الطالب هو من يكتسب هذه المهارة التي تسمح له بمعرفة أي نوع وأيّ كميّة من العمل الفكريّ يجب توفيره وضمن أي إطار زمنيّ. "تدريجيًّا، يعتاد الطلاّب على قواعد الأداء الضمنيّة للجامعة فيمتلكونها ويتعلّمون الالتفاف حولها. يستقرّون في "الروتينيّة" أو "الرتابة" دلالة على أنّهم عبروا من مرحلة التعلّم إلى المرحلة الأخيرة، مرحلة الانتساب.

وهكذا يكون الطالب منتسبًا على المستوَيَين المؤسّساتي والفكري. يعرف كيفيّة اتّباع القواعد في تفسيرها وتنفيذها أحيانًا على طريقته الخاصّة. لا شيء منظّم مسبقًا، وخاصة أنّ بعض القواعد السريّة تظهر في بعض الأحيان خلال المسار. ولكنّ الطالب، بصفته منتسبًا إلى الجامعة، وإن كان بطريقة هشّة، يمكنه أن يصبح بدوره منتجًا للمعايير، يفكّر بما هو مُقتَرَح عليه، بما في ذلك التعليم، وقد يتسنّى له أن يضع نفسه في موقف الاحتجاج. من أفراد يصبح الطلاّب مجموعة. ويمكن التعلّم الفكري أن يستمرّ. في ذلك الوقت، يتسنّى للطالب "القراءة والكتابة والتفكير" أيّ أنّه يصبح صاحبًا ومالكًا لبعض القِيَم التي نقلتها الجامعة، ويتماهى بالتالي بتاريخها ورسالتها (آلان كولون، مهنة الطالب. الدخول إلى الحياة الجامعيّة، باريس، PUF، ١٩٩٧)[٦]. إذا عاش الطالب هذه المراحل الثلاث منطقيًّا ووجوديًّا، لن يجد أي صعوبة في عيش انتماء قويّ وموالٍ لجامعته أو لكليّته ؛ المهمّ هو عدم السماح له بالبقاء في المرحلة الأولى، يستلذّ فيها ويعتبر نفسه دومًا غريبًا ؛ إنّه دورنا كهيئة إدارة ومعلّمين، وكخدمات إستشارية وتوجيهيّة

(6) Alain Coulon, *Le métier d'étudiant. L'entrée dans la vie universitaire,* Paris, PUF, 1997.

وحياة طلابيّة وخدمات محاورة وضيافة في كلّ معهد، وهو دور نبيل يتلخّص في عدم تهميش الطالب ومعرفته من دون الهيمنة عليه والتقرّب منه من دون استيعابه ؛ ويكمن هذا الدور في مساعدة الطالب على أن يكون من جامعة القدّيس يوسف وليس فقط في قاعات وأروقة الجامعة، متروكًا في بعض الأحيان إلى متوحّشين ولصوص للعقل والفكر الذين يستطيعون جرّه إلى انحرافات لا يمكن إصلاحها ؛ فبهذا يقع على عاتقنا جميعًا أن نكون متحمّسين حاملين لروح جامعة القدّيس يوسف، مع الإشارة إلى مبادئ شرعتها للعام ١٩٧٥ التي يجب علينا جميعًا توقيعها وجعلها جزءًا منّا لنكون شهودًا حقيقيّين أمام الآخرين. وبالتالي سيكون الطالب وفيًّا لجامعته إلى الأبد وسوف تبدو له جامعته وكأنّها جزء منه، فيكون فخورًا بها وممتنًا لها.

٧. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، أعزّائي الطلبة، ماذا تنصّ لنا ولكم شرعتنا ونصوصنا القانونيّة عن مكانكم ودوركم في الجامعة ؟ فلنبدأ بالمادّة ٦ من الشرعة التي تذكّر بقوّة أنّ جامعة القدّيس يوسف لا تقبل أن تكون في خدمة طبقة إجتماعيّة أو جماعة عرقيّة ؛ وكذلك، وفقًا للمادّة ٤ من الشرعة نفسها، لا تنظر الجامعة إلى طلاّبها على أساس الانتماء الديني أو الأيديولوجي. لكنّ شرعتنا تذكّرنا في المادّة ٤ نفسها بأنّ جامعة القدّيس يوسف تأخذ على عاتقها التعليم والأبحاث في منظورها المسيحي، منذ تأسيسها، ممّا يؤكّد على هويّتها من دون أيّة تسويات. علاوة على ذلك، "تتطلّب، بالمقابل، من جانب جميع المعنيين الذين يشاركون في حياة الجامعة الالتزام في تعزيز روح الحريّة الشخصيّة والانفتاح على الحياة الروحيّة. تكمن دعوة أفراد جميع الطوائف الدينية، بتعدديّتها التي هي سمة من سمات المجتمع اللبناني في جامعة القدّيس يوسف، في المشاركة معًا في هذا التقدّم، ممَّا يفترض المعرفة والتقدير المتبادل". وتنصّ هذه المادّة نفسها على أنّ "جامعة القدّيس يوسف مفتوحة على القضايا الأساسيّة المطروحة على ضمير كلّ إنسان حول المعنى الحقيقي للحياة ؛ وهذا الانفتاح هو الطريق المعتاد نحو الاعتراف بالله المتسامي الذي يتخطّى

كلّ القِيَم الإنسانيّة، والذي يعطي الحياة معناها الكامل ويضمن حريّة الإنسان ضدّ الظلم. هذا هو الله الذي يكرّمه دستور لبنان" (شرعة الجامعة ونظامها الأساسي، منشورات جامعة القدّيس يوسف في بيروت ٢٠١٤)[٧].

لنواصل إعادة قراءتنا للشرعة بغية اكتشاف أنّ المادّة ٧ تنصّ على مبدأ مشاركة الجميع من أجل تحقيق حاضر ومستقبل الجامعة وتوفير المكان الصحيح للطلاّب في هذه العمليّة : "المشاركة ضروريّة ليس بالنسبة إلى مناخ الجامعة فحسب، بل من أجل نوعيّة المجتمع الذي ترمي تعزيزه". لا يتمّ إقصاء الطلاّب منها بل يُطلب منهم، على سبيل المثال، المشاركة في تطوير برامج دراستهم، وبموجب المادّة ٣١ من النظام الداخلي، أسوةً بالمعلّمين الذين يُطلَب منهم المشاركة في إدارة جامعتهم. وبالتالي، فإنّ المبادئ المقرّرة في الشرعة هي، منذ البدء، مبادئ توجيهيّة قيد التنفيذ كلّ يوم : مبدأ الحريّة الأكاديميّة والانفتاح الروحيّ ورفض التمييز والإقصاء، ووجهة النظر المسيحيّة التي تؤسّس لخياراتنا الأساسيّة، والالتزام بالتسامح والعيش المشترك والاحترام المتبادل والعمل بلا كلل من أجل مشاركة الجميع في مسيرة جامعتهم.

٨. في الآونة الأخيرة، وسعيًا لإعطاء الحياة الطلابيّة مكانها في الجامعة، جاء إنشاء لجنة دائمة من الحياة الطلاّبيّة من قِبَل مجلس الجامعة ليترجم ويجسّد غرض الشرعة وتوجّهاتها. وهكذا تمّ إنشاء مجموعة مكوّنة من مسؤولي الجامعة ومجلس مساعد لاتّخاذ القرارات ومتابعتها بشأن جميع المسائل المتعلّقة بمجال الحياة الطلابيّة والالتزامات الخاصّة بالمواطنة. من ناحية أخرى، تمّ تأسيس المجلس الأعلى للطلاّب ؛ يتكوّن هذا المجلس من ممثّلين مُنتخبين من رابطات القدامى والمندوبين الأكاديميّين وغيرهم من ممثّلي النوادي والجمعيّات الطلابيّة الناشطة في مجالات المواطنة والثقافة والفكر والمجتمع. والهدف من هذا المنتدى

(7) Charte et Statuts de l'Université, Publications de l'Université Saint-Joseph de Beyrouth, 2014.

بسيط : مناقشة جميع المسائل الإداريّة والأكاديميّة والاجتماعيّة والسياسيّة المتعلّقة بالحياة الطلابيّة في جامعة القدّيس يوسف، واقتراح وبناء المشاريع معًا في جميع المجالات التي تجعل من الطالب شريكًا في حياة الجامعة وليس مجرّد متفرّج أو عابر سبيل. فالطالب ناقل حقيقي لروح جامعة القدّيس يوسف من جيل إلى جيل، بهدف بناء لبنان يعيش فيه مواطنون يحترمون بعضهم بعضًا ويعملون يدًا بيد من أجل خير بلدهم.

(الرسالة "السياسيّة" للجامعة في امتحان حقائق وتوقّعات غامضة)

٩. الطالب المواطن ! الطالب المشارك في العمليّة السياسيّة، المنخرط في حزب أو غير المنخرط في حزب! كيف لا نتطرّق إلى هذه المسألة الآنيّة جدًّا، في ضوء الحوادث، من دون الالتفاف حول إشكاليّة تعني وتثير ولو جزءًا من المشهد الجامعي اللبناني ؟ في الواقع، هذا الأمر يطرح على الأقلّ السؤال التالي : ما هو الدور الذي يمكن أو ينبغي أن تقوم به جامعة لبنانيّة مسيحيّة ويسوعيّة في مجال تنشئة طلاّبها على القِيَم الوطنيّة والسياسيّة ؟ المشهد اللبناني حيث الاستقطاب المزدوج السياسي والمجتمعي ليس سوى الوجه المرئي من "العنف" تجاه الآخر المختلف بانتمائه السياسي والمجتمعي، هل يمكن أن يسهّل رسالة الجامعة هذه ؟

للإجابة على هذا السؤال، يجب علينا أن نأخذ في الاعتبار التغيير الذي طاول بشدّة المؤسّسة الجامعيّة التقليديّة والحديثة على المستوى الدولي وحتّى الربع الأخير من القرن العشرين. فالجامعة كانت تسعى لتشكيل شخصيّة طلاّبها ووسمهم بالطابع الأيديولوجيّ، سواء كان سياسيًّا أو قوميًّا أو دينيًّا. ولكنّ جامعة اليوم التي نطلق عليها تسمية جامعة ما بعد الحداثة، لم تعد تؤمن في كثير من الأحيان بشموليّة عمل العقل ولم تعد تدّعي تنشئة الطالب وفقًا لنموذج مُسبَق، سواء كان ناجمًا عن التقليد أو العقل،

ولكنّها تكتفي برسم الأطر العامّة للتنشئة وتهتمّ أكثر من أي وقت مضى بنتائج التعلّم المهني. في الأدبيّات الأكاديميّة الحاليّة، سواء كانت من أصل أميركي كندي وفقًا للاقتصاد الليبرالي المفتوح، أو أوروبي وفقًا لعمليّة بولونيا، فإنّ تعبير "ملامح الطالب" وخصوصًا ملامح الخرّيج يحيل في كثير من الأحيان إلى المواقف والكفايات وأصل الطالب المنتسب الذي يترك بصماته على صورة الجامعة وليس العكس. بخلاف الحداثة، لم تعد ما بعد الحداثة تربط فكرة التقدّم بمعنى تركيبي تبرّره. الماضي حيث كانت السلطات تعجز في مهمّتها، لا يجمع أبدًا، في حين أنّ المستقبل لا يحمل في طيّاته هذا القدر من الوعود (ما نسمّيه "لا مستقبل !" بحسب الفوضويّين)، وهو غير واضح ومتقلّب تمامًا، بالنظر إلى النموّ المتسارع للأعمال الإنسانيّة. في هذا السياق، التحدّث عن القيم الدائمة، الوطنيّة أو الروحيّة ونقل هذه القِيَم أو حتّى تزويد الشباب بروح المواطنة والرغبة في التغيير قد يبدو وقد عفا عليه الزمن، أو تحدّي هرقل فالجامعة غالبًا ما لم تعد تتكفّل بهذه الرسالة.

(التوقّعات الدائمة)

١٠. ولكن في مجتمعنا اللبناني، على رغم التغيّرات التي أثّرت في الوظائف الأكاديميّة والاجتماعيّة في الجامعة (وقت أقصر يقضيه الطالب في الأحرام الجامعيّة، تخصّص مفرط، عجز أخلاقي ومعنوي ...) وفضلاً عن طبيعة العلاقة الإشكاليّة للطالب بالسياسة حيث شخصيّة الزعيم هي التي تجذب أكثر من المشروع السياسي والرغبة في أخذ موقع بالنسبة إلى الآخر المختلف، نلاحظ دائمًا، كما يقول شخصٌ يرصد الوقائع الجامعيّة اللبنانيّة، "أنّ الناس في لبنان لا يزالون متشبّثين برؤية الجامعة الموروثة من مرحلة ما قبل الحرب" (باسكال لحّود، الرسالة السياسيّة للجامعة الكاثوليكيّة في لبنان في محنة الوقائع والتوقّعات الغامضة، وهي رسالة أُعدَّت للتفكير على مستوى الجامعات الكاثوليكيّة في لبنان، شباط (فبراير)

٢٠١٤)[٨]. فبالنسبة إلى الرأي العام، ووسائل الإعلام غير الحزبيّة، وكذلك بالنسبة إلى الأكاديميّين أنفسهم، الجامعة لديها واجب أداء المهامّ التالية، وإلاّ سوف تكون مذنبة بالتقصير في مهامّها وواجباتها. أوّلاً، يجب أن تلقّن الجامعة القِيَم الديمقراطيّة وتعلّم ممارستها النزيهة والواضحة والسلميّة. ثانيًا، يجب أن تساعد على خلق حركة طلابيّة يمكنها أن تسهم بنشاط في تحديث وإصلاح الحياة السياسيّة اللبنانيّة. ثالثًا، يجب أن تساهم، من خلال حسن إدارة التنوّع الديني في الأحرام الجامعيّة بتشجيع وتعزيز العيش المشترك اللبناني الأصيل والإنساني ومواطنَة تتمثّل مهمّتها في توحيد اللبنانيّين.

في هذا السياق دومًا وفيما يتعلّق بأحداث وقعت في بعض الجامعات، تعلو بعض الأصوات وتنادي أن تشجّع الجامعة الحوار بين الشباب الذين يرون في خصومهم أعداء، ممّا يكشف عن نقص في التربية وعدم الشعور بالانتماء إلى البلد نفسه، لبنان، ويؤدّي إلى اليأس والهجرة. هذه الأصوات السياسيّة تحضّ جامعة القدّيس يوسف على بلورة برنامج تعليمي فعّال يحثّ على اللقاء والتبادل بين الأشخاص، مع احترام حريّة المعتقد والرأي. يتوجّب على هذا البرنامج توفير التربية السياسيّة وإلغاء الفجوة بين التقدّم في اكتساب المعرفة العلميّة وجهل أبسط قواعد العيش المشترك والمواطنة. لا يسعنا إلاّ أن نقدّر محتوى هذه النداءات ممّا يضع الجامعة في لبنان أمام مسؤوليّاتها. ولكن نستطيع أن نتساءل بطريقة مشروعة ونطرح السؤال التالي على مختلف الأحزاب السياسيّة : يجب على الجامعة أن تتحرّك وتشجّع تبادلاً من نوع سياسيّ، وتربية على الحوار القائم على الاحترام بين جدرانها وبالتالي تعزيز العيش المشترك. وأنتم، أعضاء الأحزاب والتيارات السياسيّة، ألا تتحمّلون مسؤوليّة تنشئة أنصاركم الشباب أيضًا على المواطنة واحترام الآخر المختلف بانفتاحكم على الأحزاب الأخرى، بغضّ النظر عن ألوانهم ؟ ألا تتحمّلون مسؤوليّة أن تكونوا الأوصياء على العيش المشترك والمواطنة ؟

(8) Pascale Lahoud, *La mission politique de l'université catholique au Liban à l'épreuve des réalités et des attentes ambiguës*, papier préparé pour une réflexion au niveau des Universités Catholiques du Liban, février 2014.

(المشاكل والتحدّيات)

١١. الأخذ بعين الاعتبار ضرورة التربية على الحياة المواطنيّة والسياسيّة لا يمكن أن يخفي المشاكل التي يتوجّب على جامعتنا مواجهتها في الواقع اليومي والوقائع السياسيّة غير المؤاتية التي تتعارض مع كلّ نيّة طيّبة في هذا المجال. يمكن المرء أن يلخّص هذه العوامل المتضاربة في بضع كلمات : طابع الهويّة والجماعات الذي تتّسم به الجامعات يتعزّز لدرجة أنّ بعضهم يطالب بفرض حصص من حيث الانتماء الجماعي ؛ إنّ تهميش الطلاّب الشباب في الأحزاب السياسيّة وتطوّر الانتخابات الطلابيّة في الجامعات هما بمثابة نوع من اختبار شعبي. لا يجب أن ننسى أيضًا التغطية الإعلاميّة الواسعة لهذه الانتخابات، يليها في كثير من الحالات فقدان مصداقيّة السلطات الجامعيّة، كما لو كانت مسؤولة عن كلّ مصائب البلاد.

في هذا الإطار، أودّ أن أركّز على معاني انتخابات رابطات قدامى الطلاب في مؤسّسة جامعيّة مثل جامعة القدّيس يوسف، لأنّ نتائج هذه الانتخابات في بعض الأحرام الجامعيّة حضّت أو بالأحرى أثارت هذا العام وإلى حدّ كبير الصراع بين الطلاّب. العديد من المعلّقين في وسائل الإعلام المطبوعة لم يتوانوا عن التشكيك في صحّة الانتخابات في الجامعات وخصوصًا في جامعة القدّيس يوسف. وأنا لا أخفي عليكم وجود تيار بين مديري جامعة القدّيس يوسف يدعو إلى وضع حدّ لهذه الانتخابات طالما أنّ وضع البلاد لا يتغيّر. الأسئلة والتعليقات في محلّها ووجيهة : على رغم النيّة الحسنة وراء تنظيم يوم الديمقراطيّة في جامعة القدّيس يوسف، ألم تصبح هذه الانتخابات مجرّد جزء من طقوس لديمقراطيّة مفقودة لا تُستَخدَم إلاّ لإعادة إنتاج التفكّك السياسي للبلد والتحيّز الجماعي أو السياسي في الحَرَم الجامعي ؟ هل تقوم الانتخابات بأي شيء آخر سوى تكرار الصدع الموجود على صعيد المجتمع ؟ هل لرابطات قدامى الطلاّب برنامج آخر غير برنامج تنظيم أمسيات حزبيّة مموّلة من الجامعة أو بعض

الأنشطة الأخرى غير المهمّة ؟ أوَ ليست رسالة رابطات قدامى الطلاّب غائبة عن الحياة الأكاديميّة والاجتماعيّة للجامعة ؟ ما هي القيمة الإيجابيّة المُضافة المُعطاة إلى الجامعة عن طريق هذه الانتخابات ؟ قيمتنا المشتركة، لبنانيّتنا، ألا تدوسها سلوكيّاتنا المضادّة للمواطنة ؟ هل تعلمون أنّ حملة ٢٠١٤-١٥ قد بدأت في بعض مؤسّسات جامعة القدّيس يوسف ؟ من الواضح أنّ النظام النسبي، كما يُنَفَّذ حاليًّا في جامعتنا مع قائمة واحدة مقفَلة، يلغي الصوت المستقلّ ويجعل الصدع راديكاليًّا بين الفصائل المختلفة. أعتقد أنّ مسألة أهميّة الحفاظ على الانتخابات ستكون على جدول أعمال مجلس جامعتنا. لذلك، نحن في حالة حوار صريح ومباشر مع الطلاّب من أجل إعادة توجيه رسالة رابطات قدامى الطلاّب ودورها في إطار جامعة القدّيس يوسف لتتمّ الإنتخابات في جوّ ملائم. في هذا السياق، أودّ أن أقول إنّ رسالتنا في الجامعة، وخصوصًا في جامعة القدّيس يوسف، ليست معاقبة وطرد الطلاّب، لأنّنا أهل تربية قبل كلّ شيء. ولكن لا بدّ من وضع الأنظمة قيد التنفيذ تجاه الأشخاص الذين يشكّلون خطرًا للآخرين ولأنفسهم (وهذا ما جرى في الأحداث الأخيرة)، لأنّ حق كلّ طالب هو الدراسة بأمان وبكلّ حريّة أيضًا.

IV. (أجوبة جامعة القدّيس يوسف على طلب الطلاّب)

١٢. أمام كلّ هذه القضايا وفي مواجهة هذه الحالات الإشكاليّة، **سوف نكتشف في الجزء الثالث والأخير من هذا الخطاب،** كيف تعتزم جامعة القدّيس يوسف الاستجابة عمليًّا لرغبات الطلاّب من خلال تطوير بنى أكاديميّة واجتماعيّة وإداريّة تشجّع مشاركتهم في حياة الجامعة. صدّقوني، أيّها الطلاّب الأعزّاء، إنّها ليست مسألة خطوة أو بادرة طيّبة نهبكم إيّاها ولكنّه حقّ ندين به لكم. يسرّني أن أعلن لكم عن إنشاء دائرة داخل جامعة القدّيس يوسف صوَّت مؤخّرًا لصالحها مجلس الجامعة : تمّ إنشاء دائرة الحياة الطلابيّة والانخراط المهنيّ منذ بداية هذا العام للطلاّب وخاصّةً لمجموع أنشطة النوادي وورش العمل

والمشاريع الخاصّة بالمواطنة. العديد من المشاريع على جدول الأعمال، بما في ذلك إطلاق صحيفة أسبوعيّة لطلاّب جامعة القدّيس يوسف ومحرّرة مع الطلاّب ومن أجل الطلاّب في حين أنّ سلسلة من نوادي الطلاّب قد تمّ إنشاؤها أو تفعيلها. في هذه الدائرة، الإنخراط المهني هو جواب لهمومكم للاستعداد والشروع في العمل المهني. في مجالس الأحرام الجامعيّة، سيتواجد منذ هذا العام ممثّلون عن الطلاّب قادرون على التعبير عن حاجاتهم الأساسيّة وأحلامهم المبتكرة. العمداء والمدراء، بدعم من الإداريّين، يعطون المزيد من وقتهم لطلاّبهم ولهمومهم الأكاديميّة وكذلك للأنشطة الطلابيّة. أنا متأكّد من أنّ التنشئة على الإدارة والمخاطبة، وعلى بناء مجموعات من المهارات المشتركة والتعبير الفنّي والفكري والمدني وحتّى السياسي والمدني ستأخذ مكانها، من دون استبعاد إمكانيّة المناقشات حول المواطنة والانتماء إلى جامعة القدّيس يوسف.

ولكن من المستحسن التذكير بالأهداف التربويّة التي وضعتها جامعة القدّيس يوسف. هي تريد أن تجعل طلاّبها يمتلكون : **١**) الكفاءات على صعيد الاختصاصات والتقنيّات المتعلّقة بالمعارف والنهج المنبثق أيضًا من الأبحاث ؛ **٢**) النهج التحليلي والتفكير النقدي ؛ **٣**) المهارات الإجتماعيّة والمواطنيّة والأخلاقيّة والعلائقيّة والروحيّة والتواصليّة (بما في ذلك الكفاءة في امتلاك ثلاث لغات)، في إطار لبناني تعلو فيه بشكل متزايد جدران سوء الفهم وإقصاء الآخر، الأمر الذي يتطلّب المزيد من العمل الشاق لتوفير تنشئة على العيش المشترك والاحترام المتبادل ؛ **٤**) الإنفتاح على الاختصاصات المتداخلة المتعدّدة والقدرة على التعهّد بالمشاريع ؛ **٥**) الإستقلاليّة الذاتيّة والالتزام في التنشئة ؛ **٦**) الإنفتاح على العالم. والجامعة تعتزم تحقيق هذه الأهداف بهدف النموّ في المعرفة والاعتبارات الأخلاقيّة، بما في ذلك تجنّب التصرّف غير الأخلاقي بمعلومات الغير، وذلك لتمكين الطلاّب من الاستعداد لمستقبلهم المهنيّ في أفضل الظروف. لهذا، يتوجّب على الطالب أن يكون مسؤولاً ومرافقًا في دراسته وفي نموّه الشخصي عند

الحاجة والاستفادة من الدعم المُقدَّم له. سيقوم الطلاّب بالمشاركة بشغف ونشاط في جميع أنشطة التنشئة والحياة الطلاّبيّة والمواطنيّة التي تُقتَرَح عليهم، مراعين التصرّف المجرّد من روح الطائفيّة والمجرّد من الاستفزاز والاتّهام للآخر المختلف.

يجب أن نعرف أنّ جامعة القدّيس يوسف هي مؤسّسة غير هادفة للربح وبالتالي لا تسعى لتحقيق الأرباح والفوائد من الرسوم والأقساط الدراسيّة التي يدفعها الطلاّب. يُعاد استثمار الفائض السنويّ لتطوير الجامعة وتستند الميزانيّة الحاليّة على موازنة جلُّها من الأقساط الدراسيّة بنسبة تفوق الـ ٩٦ بالمئة. ويتمّ التحضير لمشروع متكامل لجمع التبرّعات سوف يُعرَض على قدامى الطلاّب القيّمين وعلى أصدقاء الجامعة الذين يُلتَمَس منهم دعم عمل أمّهم المربّية مهما كان مقدار مساهمتهم. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ المبلغ الإجمالي للمساعدات الذي يُعطى إلى طلاّب جامعة القدّيس يوسف للعام ٢٠١٢-٢٠١٣، في شكل مِنَحٍ دراسيّة برأس مال ضائع وقروض مصرفيّة وقروض مقسّطة على دفعات، بلغت حوالى عشرة ملايين دولار. وللعام ٢٠١٣-٢٠١٤، قرّر مجلس الخدمة الإجتماعيّة منح مبلغ إضافي بقيمة مليون دولار لمساعدة الطلاّب المستفيدين من القروض، بشكل أن تتحمّل الجامعة الفروقات عندما يتعدّى القرض المصرفي الـ ٤٠ بالمئة من مجمل القسط. واعتبارًا من السنة المقبلة، سيرتفع برنامج المنح الدراسيّة للتميّز حتّى يصل إلى ٢٥٠ منحة دراسيّة للشباب المنتسبين إلى الجامعة في السنة الدراسيّة الأولى. أمّا نظام المِنَح للجدارة فيجري تنقيحه وإعادة النظر فيه، تضامنًا مع طلاّبنا المجلّين.

أودّ أن أقول لكم أيضًا إنّ جامعة القدّيس يوسف هي حاليًّا في ورشة أكاديميّة بغية تحسين خدماتها وبغية تنشئة أشخاص مهنيّين مؤهّلين أفضل تأهيل. وبالتالي، منذ بداية السنة الأكاديميّة المقبلة، سيتمّ تغيير اليوم الأكاديمي، وحصّة اليوم التي تستغرق ساعة ونصف سوف يتمّ تخفيضها إلى ساعة وربع (ساعة و١٥ دقيقة). ويتمّ كذلك اختصار الوقت المستقطع بين الدروس. ويتمّ أيضًا إعادة صياغة

مناهج البرامج وفقًا للمهارات والكفايات التي يجب على المهنيّ اكتسابها. وسوف يتمّ اقتراح حفنة من الموادّ الاختياريّة المغلقة المشتركة تندرج تحت تسمية "إختياريّات (أو الموادّ الإختياريّة) في جامعة القدّيس يوسف" وهي تمثّل ١٨ رصيدًا موزّعة على مدى ثلاث سنوات من الحلقة الدراسيّة الأولى، وذلك منذ بداية السنة الأكاديميّة المقبلة ؛ هذه الباقة من المقرّرات ستتألّف، من بين موادّ أخرى، من مقرّرات تتناول الأخلاقيّات والتربية على المواطنة والحوار بين الأديان ومدخل إلى علم الاجتماع والسياسة. فالطالب هو حائز على دبلوم من جامعة القدّيس يوسف وليس متخصّصًا يكتسب المعلومات فحسب، ولكنّه فكرٌ مثقّف يشعّ بثقافته وبالقِيَم التي يشهد لها.

ضيوفنا الأعزّاء المميّزين، حضرات المدراء والمثبّتين في جامعة القدّيس يوسف ومعلّميها البارزين وطلاّبها القيّمين،

١٣. في العام الماضي، في مثل هذا اليوم، كنتُ قد أكّدتُ على الأهميّة الأساسيّة في إعادة تأكيد فعل إيماننا في لبنانيّتنا كعامل أساسي للوحدة وتجديد انتمائنا وتعلّقنا بالعيش المشترك. نظرًا إلى الرسالة الإنسانيّة لجامعتنا، ووفقًا لحدود السلطة الأخلاقيّة والفكريّة المُعطاة إلى رئيس هذه الجامعة "التي ساهمت في ولادة لبنان ونموّه" لدينا واجب التأكيد بقوّة ومرّة أخرى على فكرة لبنانيّتنا هذه. وهي قيمة إنسانيّة سياسيّة وأخلاقيّة دفعت قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني إلى القول بأنّ لبنان هو رسالة. اليوم، التطوّرات الكارثيّة من حولنا والمهدّدة عندنا، فضلاً عن محتويات الخطاب السياسي التي تُغرِق اللبنانيّين في التناقض الاجتماعي والسياسي، وتضعهم في مواجهة مستمرّة وجهًا لوجه، أظهرت وتُظهِر أنّ الهويّة اللبنانيّة، ليست مجرّد نيّة ظرفيّة عابرة لكن قناعة حقيقيّة للغالبيّة العظمى منّا، وبالتالي أصبحت سياسيّة وتصبح اليوم "سفينة نوح" من الناحية الوجوديّة والاجتماعيّة لا مجال أن يتركها أحد من اللبنانيّين في وقت طغت فيه الفيضانات التي ابتُليت بها هذه المنطقة العربيّة والشرقيّة العزيزة جدًّا على قلبنا وأنستنا بعض قضايانا

المصيريّة مثل قضيّة المواطنة والديموقراطيّة في عالمنا العربي وكذلك قضيّة فلسطين التي ما زالت جاثمة على أرضنا وقلوبنا.

في الواقع، إنّ الانضمام إلى لبنان ودمج الهويّة اللبنانيّة في تصرّفاتنا يتطلّبان تحوّلاً من جميع القوى السياسيّة والمؤثّرة المتواجدة على الأرض. حان الوقت أن يفكّر البعض بالتضامن مع الدولة بدون موارية ومع وجود إرادة سياسيّة للقيام بالتفاوض حول المصير بحسن نيّة. وعلى الآخرين أن يقبلوا بإصلاح عميق لمؤسّسات الدولة، بما في ذلك إنشاء أنظمة معقولة لحفظ الدولة وتعزيز مكانتها . في الواقع، بعض علماء السياسة يؤكّدون أنّ السياسيين اللبنانيّين لا يزالون يفكّرون بالدولة اللبنانيّة كما أديرت تحت الوصاية السوريّة ولا يفهمون الزخم الحالي لسياسة تقوم نقطة البداية فيها من لبنان وتقود في نهاية المطاف إلى لبنان ولا إلى مكان آخر إلاّ لبنان. فلا يكفي أن نعلن الانضمام إلى دولة مستقلّة وقويّة أو الرغبة في إقامة دولة عادلة وقادرة ؛ يجب علينا أن نجرؤ من الآن وصاعدًا على التنفيذ واقتراح وتقديم رؤية لدولة قادرة على الأداء وقادرة على تحقيق مصالح جميع اللبنانيّين، الأمر الذي شجّع نيافة الكاردينال بشارة الراعي على إصدار مذكّرته الوطنيّة وعرضها على نطاق واسع.

المأساة السوريّة هي خير دليل حزين على مخاطر مثل هذه الخيارات وآفاقها المخيفة والمسدودة التي تفتح الباب أمام كلّ التيّارات المتطرّفة غير المقبولة. ولا يمكن أن يستند التدخّل في الشأن السوري، وفقًا لقناعاتنا الأكاديميّة والفكريّة والعاطفيّة، إلاّ على مبدأ الوساطة والحوار، تلك الوساطة التي شهدنا بالأمس ومؤخّرًا أنّها مفيدة وتؤتى أثمارها، وبالتالي يوضع منطق المصالحة ونهوض الدولة المجاورة قيد التنفيذ. إذا كنّا حقًّا لبنانيّين، نعمل لمصالح الجميع، فلسنا بحاجة لانتصار جانب واحد على الآخر لمقاضاته وجعله ورقة رابحة في لعبتنا السياسيّة الداخليّة. بغضّ النظر عن تأثير ونتائج تدخّل مجموعة من اللبنانيّين أو مجموعة أخرى في هذه المذبحة، من الضروري أن يتمكّن جميع السوريين أن يتذكّروا، في المستقبل القريب والبعيد، أنّ جيرانهم لم يتصرّفوا إلاّ لتجنيبهم هذا الإنحدار الرهيب إلى جهنّم كما يفعل

الكثير من اللبنانيين في زخمٍ من الإنسانيّة الأخويّة للتخفيف من معاناة اللاجئين بيننا في إطار تنظيمي يحمي اللبنانيّين والسوريّين معًا. هذا الموقف الذي يعمل على المصالحة ألن يكون مفيدًا في المستقبل لتوطيد العلاقات السوريّة–اللبنانيّة ؟ إلاّ أنّ هذا التضامن وهذا الواجب الإنساني لا يجب أن يمنعانا أن نتطلّع نحو المستقبل بواقعيّة... هل سيتمكّن لبنان بعد أن يستوعب ويدير ولمدّة طويلة هذا التدفّق الذي لا نهاية له للاجئين السوريّين على أرضه والذين يمكن أن يصل عددهم إلى ٢ أو ٣ مليون في العام ٢٠١٥ من دون تهديد توازنه ووحدته ؟

فلنفعل كلّ شيء، أيّها الطلاّب والمعلّمون الأعزّاء، لنقيس خياراتنا بطريقة أفضل ونُبقي على ما هو أقرب إلى الخير الشامل وإلا فإنّ لبنان لن يكون ممكنًا، كما عرفناه وكما نحلم به وسوف يكون الوقت قد فات لاستعادته !

إنّ جامعة القدّيس يوسف الوفيّة لرسالتها التاريخيّة، ترى من واجبها إنارة الطريق التي يتوجّب على اللبنانيين عبورها والتي ستسير بمؤسّسات الدولة من المرحلة التوافقيّة التي لها منافعها وكشفت عن محدوديّتها، إلى مرحلة دولة القانون الحديثة والمواطنة القائمة على أساس المساواة والعدالة والحريّة. يجب التأكّد أيضًا أنّ الجماعات اللبنانية، من دون أيّ استثناء، تتمتّع بالضمانات السياسيّة والدستوريّة فيما يختصّ بحقوقها ومستقبلها. إنّها مسيرة ومسار معقّد يدعو اللبنانيّين أن يجرؤوا على التفكير معًا من أجل الخير العام وعلى القيام بالإنجاز الفكري المشترك، كما يدعونا إلى مضاعفة جهودنا لتتمتّع جامعة القدّيس يوسف باستمرار برؤية واضحة لأهدافها ولإنشاء الأطر والمساعي التربويّة من أجل تحقيق هذه التنشئة على المواطنة بالتشاور مع الجامعات اللبنانيّة الأخرى، وذلك في إطار مرصد جامعي مشترك لتعزيز المواطنة أدعو لتأسيسه من كلّ قلبي. علينا أن نصغي إلى الأجيال الشابّة التي يمكن أن تساهم، من خلال سلوكها الاجتماعي والمدني، في إقامة شيء من الأخوّة الحقيقيّة التي تُساء معاملتها اليوم وتكاد تكون مفقودة وأن تمارس الديمقراطيّة التي ترى في الاختلاف ثروة وليس هيمنة على الآخر وديموقراطيّة

بحاجة ماسّة إلى استقرار وأمان لاحتواء التدفّق الخطير لهجرة شبابنا إلى بلاد الاغتراب التي تُفسد لبنان وتجعله يتنازل وتعرّض مستقبله للخطر.

أعزّاءنا المعلّمين والطلاّب،

١٤. خلال هذا العام، تحتفل جامعة القدّيس يوسف ولكن ربّما مع بعض التحفّظ بمناسبتين: مرور خمسين عامًا على إطلاق الإجازة في العلوم الإقتصاديّة في إطار كليّة الحقوق، لأنّ الدراسات في العلوم الإقتصاديّة التي بدأت في العام ١٩٦٤ مهَّدت لإنشاء كليّة العلوم الإقتصاديّة في العام ١٩٨٠. وقد أراد خرّيجو هذه الكليّة القدامى مؤخّرًا ولمناسبة هذه الذكرى إنشاء رابطة القدامى الخاصّة بهم. وفي هذا العام أيضًا، نحتفل بذكرى مرور ٢٥ عامًا على تأسيس معهد الدراسات السمعيّة والبصريّة والسينمائيّة IESAV الشهير، الذي قام بشكل كامل بتأدية رسالته فسلّط الضوء على المهارات الفنيّة والتقنيّة الرائعة التي يمتلكها شبابنا، والذي أعطى، سواء في السينما أو في المسرح، بعدًا لبنانيًّا وعربيًّا ودوليًّا حقيقيًّا ورائعًا. ولنقل أيضًا إنّ جامعة القدّيس يوسف تستعدّ للاحتفال بعد أشهر قليلة بالعام ١٤٠ على تأسيسها باتّجاه العودة إلى ذاتيّتها، إلى رسالتها وقيمها، من أجل تصوّر أفضل لمستقبلها. هناك على الأقلّ ثلاث مراحل بارزة من هذا الاحتفال ستندرج في برنامج هذا العام : الاجتماع السنوي للجمعيّة العموميّة لاتّحاد الجامعات العربيّة في جامعتنا في آذار (مارس) ٢٠١٥، وتنظيم مؤتمر دولي حول التعليم العالي بأثر رجعي لخبرة جامعتنا في هذا المجال ودعوة الروابط العامّة للطلاّب القدامى وممثّليهم في جميع أنحاء العالم. حاليًّا، يُنتج عمل القدامى فعليًّا آثارًا جيّدة، على مستوى الجامعة بجمعيّات تتّقد فيها الحياة من خلال إتّحاد يوحّد ويسلّط الضوء على هويّة طالب تخرّج من جامعة القدّيس يوسف ؛ وعمل القدامى بالتوسّع إلى الخارج، بما أنّ جمعيّتين جديدتين تمّ تأسيسهما للتوّ في قطر وفي جنيف، في حين أنّ جمعيّة أخرى سوف يتمّ تأسيسها في مونتريال.

أيّها الأصدقاء،

ولإنهاء هذا العرض حيث التقت الجامعة بطلابّها، يجب علينا أن نقتنع بأنّ جامعة القدّيس يوسف، بهويّتها اللبنانيّة والمسيحيّة واليسوعيّة، كانت ولا تزال مساحة للتبادل والحوار لمواصلة بناء لبنان الغد، وهي أيضًا مكان للتعلّم حيث يمكن جميع اللبنانيّين أن يلتقوا ويتعلمّوا معًا ويصبحوا مواطنين من أجل لبنان. في الوقت نفسه، سوف تحاول جامعة القدّيس يوسف دائمًا أن تكون مركزًا للإعداد المهنيّ يستطيع أن يستفيد منه كلّ لبناني أو ناطق باللغة الفرنسيّة وحتّى الإنجليزيّة في بعض التخصّصات، في احترام نظامها وروحها وارتباطها المتين بالأسرة الفرنكوفونيّة. نحن نريد أن تتمتّع الجامعة دومًا بالجودة وهذه الجودة لا ترمي إلى إنتاج طلاّب مميّزين فقط يعملون من أجل التغيير، بل إنّ جامعة مثل جامعتنا ينبغي لها أن تستمرّ في إنتاج الفكر الرؤيوي إرثًا تربويًّا من المعارف الأصيلة ومن القِيَم الإنسانيّة التي تتأقلم مع الواقع المعاصر؛ ويتمّ هذا وسيتمّ بفضل معلّميها، ونحن نصرّ على أن يتشارك جميع طلاّبها وخرّيجيها القدامى أيضًا هذا الهمّ لجعل جامعتنا مكانًا حيث التعلّم والبحث هما شغف الحاضر من أجل المستقبل. معًا جميعًا، سنكون دائمًا فائزين من أجل لبنان الإيمان والثقة والعدالة والحريّة والعيش المشترك والتضامن.

أيّها الأصدقاء الأعزّاء، إنّ شهر آذار (مارس) هو شهر التواريخ الرمزيّة التي تعرفونها جيِّدا، وأذكر منها تاريخ ١٩ آذار، تاريخ عيد الجامعة، فأتمنّى لكم مجدّدًا عيدًا سعيدًا، وأذكر تاريخ ٢١ آذار، عيد الأمّ والربيع وكذلك ٢٥ آذار العيد اللبناني لمريم أمّ يسوع المسيح والأمّ المكرّمة، آملاً أن تحيي التواريخ كلّها جمعاء ربيع البلدان العربيّة وربيع لبنان وتجدّده، لبنان الأمان والثقة المستَرجَعة والسلام والحريّة المسؤولة والمساواة بين المواطنين.